شروط...

الصِّدق:

هـو شبكـة الأمان التـي يتحصَّن بهـا الكاتب، ويشعـر بها القـارئ، ومن دونه فالكلمات لا روح فيها ولا حياة، وتغدو عملية الإيصال غيرَ أمينة، وضربًا من التزوير والتزييف.

وإنَّ أَحْسَن بيتٍ أنت قائلهُ بَيْتٌ يقالُ إذا أنشدتَه : صَدَقَا

إن مـن يكتب ما يكتب عن أهوائه، ومـن أجل أهوائه، فلا تلبث ثقة القارئ فيه أن تتلاشى، ولا يبقى فيه إلا سواد المداد يحكي مأتم كاتبه.

حين (يغيب) الصّدق: تتشابه أصوات الكتبة في بقاع الأرض كلها؛ فلا تفرق بين من يكتب من قلب الصّحراء العربيّة ومن يكتب من أرياف باريس الأوروبيّة.

وحين (يغيب) الصّدق: تعلو الرغبات الخاصّة والأهواء الذاتية، فيعمل على إشباعها، وإن خالفت الحقيقة، وأضحت ضربًا من التهريج والتحريف، فهذا سبط ابن الجوزي يوسف ابن قز، صاحب التاريخ المسمى (مرآة الزمان)، قال عنه ابن تيميّة: «كان يصنف بحسب مقاصد النّاس؛ يصنف للشّيعة ما يناسبهم؛ ليعوِّضوه بذلك، ويصنف على مذهب أبي حنيفة لبعض الملوك؛ لينال أغراضه، فكانت طريقته الواعظ الذي قيل له: ما مذهبك؟ قال: في أي مدينة»[١].

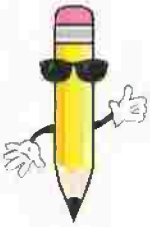

وفي المقابل لما غلب مجاهد العامري على مُرسية وجّه إلى تمام بن غالب المُرسي اللغوي (ت ٤٣٦هـ) ألف دينار، وطلب منه أن يزيد في ترجمة الكتاب: «ممّا ألّفه أبو غالب تمّام بن غالب لأبي الجيش مجاهد»، فردّ الدنانير وامتنع من ذلك، وقال: لا أستجيز الدُّنيا بالكذب، فإنني إنما صنّفته للنّاس عامّة[٢].

وحين يغيب الصدق: يظهر (التلون)، والتقلب، ويقضي وقته «في تسويد القراطيس بتواقيع بعيدة من الحق، مشحونة بالكذب والباطل»[٣]، ويكون كمن

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/٩٨).

(٢) إنباه الرواة (١/٢٦٠).

(٣) رسائل ابن حزم (٤/٦٥). وذكر مثالًا على هذا في البيان والتبيين (٢/٣٩٥).

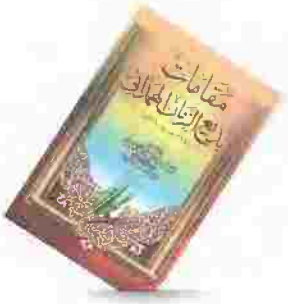

سُئل عمَّا يكتب، فقال: أباطيل أُلفِّقُها، وأكاذيب أزوِّقُها[1]، أو كأبي زيد السَّروجيّ حينما قال له الحارث بن همّام: عهْدي بك سفيهًا، فمتى صِرْتَ فقيهًا؟ فقال:

لبِستُ لكُلِّ زمانٍ لُبُوسَا ... ولابَستُ صَرفَيهِ نُعْمَى وبُوسَا
وعاشَرْتُ كلَّ جَليسٍ بما ... يُلائِمُهُ لأروقَ الجَليسا
فعِندَ الرُّواةِ أُديرُ الكلامَ ... وبينَ السُّقاةِ أُديرُ الكُؤُوسا
وطَوْرًا بوعْظي أسيلُ الدُّموعَ ... وطَوْرًا بلَهْوي أسُرُّ النُّفُوسا[2]

وحين يغيب الصدق: تظهر (الانتقائية)؛ وهي أسلوب يضرب الموضوعية والحياد في مقتل، فتجده يقرِّر الحكم الذي تسرب إليه نفسه من غير دليل، ويضرب صفحًا عن النماذج المخالفة التي تنقض ما بناه.

الاهتمام بالمفارقات أو التناقضات في الكتابة، والتركيز عليها، والكشف عنها بعناية من دلائل الصدق.

بعض الكُتَّاب لا يريد مواجهة الواقع أو تناقضه، وقد يظن أن القارئ لا دراية له به، وكان الأجدر أن يتوجَّه إلى هذه التناقضات بالدراسة والتحليل، ويقف عندها بشكلٍ محايدٍ يكشف وجهَ المفارقة، أو يسوِّي بين الأمرين، وأما أن يترك هذه الظُّلمة دون إضاءة، ونهبًا لظنون القراء وتحليلاتهم، فهذا بعيد عن أمانة الكلمة.

---

(١) الدر الثمين في أسماء المصنفين (ص٢٤٧).

(٢) شرح مقامات الحريري بشرح الشريشي (٣/ ٢١٠).

الصِّـدق في الأدب والكتابة لا يعني حكايـة الواقع، كما حدث دون تغيـير... بـل الأمـر يعـود إلـى صـدق الكاتب فيمـا يعالجه، **وكونه مرآةً صادقة لنفسه ولمجتمعه.**

ومن علامات الصّدق: (التطابـق) بـين الكاتب وكتابتـه، ويكفي فيه قوله تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢- ٣].

الكتابـة قبل كل شـيء سلوك وأخلاق... فلا يمكن للكاتـب أن يكون صادقًا في الليـل كالحمامة، روّاغًا في النهار كالثعلب، وأن يتحدث عن المثل الأعلى وهو أول من ينتهكه، وأن يكتب عن الطّهارة ولسانه غارق في الوحل![1].

قال المنفلوطي: «حياة الكاتب بحياة كتابته في نفوس قرائها، ولا تحيا كتابة كاتب سيعلم النَّاس من أمره بعد قليل أنه يكذبهُم عن نفسه وعن أنفسهم... يأمرهم اليـوم بمـا ينهاهـم عنه غدًا، ويـرى في ساعة ما لا يـرى في أخرى، وأنـه يستبكي ولا يبكي، ويسترحم ولا يرحم، ويحرك النفوس وهو ساكن»[2].

ذكـر سارتـر عددًا مـن الكُتَّـاب المشاهـير ومجافاتهم للصـدق، وأكتفي بما قاله عن (روسـو): «من ذا الذي يثق في صـدق عاطفة روسو الإنسانية، ما دام قد وضع أولاده في ملاجئ!»[3].

---

(١) انظر: الكتابة عمل انقلابي (ص١٨).

(٢) النظرات (١/ ٦١).

(٣) ما الأدب (ص٣٣).

المسؤولية:

الكتابة تتطلب من الكاتب أن يكون في أعلى مراحل المسؤولية بما يكتب، وإلا أصبحت الكتابة بلا توجيه يضبط مسارها، فالكاتب مسؤول عما يكتب أمام الله، وأمام النّاس.

يقول الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

فلا تكتب بكفّك غير شيء يَسرّك في القيامة أن تَراه

قال ابن قتيبة في فاتحة كتابه «تأويل مختلف الحديث»: «ومن علم -رحمك الله- أن كلامه من عمله قلّ إلا فيما ينفعه، ومن أيقن أنه مسؤول عما ألّف وعما كتب لم يعمل الشّيء وضدّه، ولم يستفرغ مجهوده في تثبيت الباطل عنده».

الكتابة اتفاقية (شرف)، يعقدها الكاتب مع نفسه أولًا ومع النّاس ثانيًا؛ لتحقيق غاياتها وأهدافها النبيلة، لا مصالحه الذاتية... وهو حامل (قضية) مشتركة، لا يستطيع التصرف بها وحده، أو التفرد في مسؤولية تأثيرها، ومن هنا يترتب عليه أن يكون في معالجته عامًّا لا خاصًّا، يتوخى مصلحة الجماعة لا مصلحة الأفراد، يدافع عن الحق لا عن الباطل، صوتًا للمظلومين لا بوقًا للظالمين، شاهد حق، لا شاهد زور[1].

---

(١) انظر: كيف حملت القلم (ص٢٣)، ما هو الشعر (ص١٩٨).

وهذه المسؤولية تأتي من جهات متعددة

من جهة ألا تخالف الكتابة أمرًا شرعيًا، وهذا يتطلَّب من الكاتب ابتداء الإلمام بأصول دينه، حتى لا يقع في الخطأ من حيث يقصد، ولا يقصد.

ومن جهة تقديم (النافع) من العلوم، وهي كأصناف الطّعام، فمنها الداء ومنها الدواء، ومنها ما بين ذلك... فيختار النافع، ويتجنب الضار، وقد كان الرسول الأكرم ﷺ يدعو، فيقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ**»[1].

وقد يعرض لبعض الكُتَّاب اشتهاء الكتابة للشّهوة المستبدة في نفسه؛ كي يبقى في عقول القرّاء وعيونهم، وليس من أجل رأي أو فائدة تعرض له، فيكون هذا الفعل أهون عليه من ضغطة على حاسب، وهذا ما تجده كثيرًا مرقومًا على أعمدة الصُّحف، وهو ما يجعل القراء ينجفلون من حوله ولو بعد حين.

ومن جهة تقديم أفضل ما لديه للقراء فهو حينما يقدم طعامه الفكريّ، فهو إذًا مسؤول أن يقدم الجيد، ويبذل أقصى جهده لتحقيق ذلك، فلا يخوض فيما لا يفهم، ولا يُجيد، ويكون ممن غشَّ النّاس في كتابته، فالعمل الكتابي لا يقبل التساهل، أو الأخذ بالأهون، أو القناعة بالحسن دون الأحسن. قال ابن عرفة معلِّقًا على حديث: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ**

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٨٨ رقم ٢٧٢٢) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلاثَةٍ: إلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[١]. قال: «إنّما تدخل التواليف في ذلك إذا اشتملت على فائدة زائدة، وإلا فذلك تخسير للكاغد»[٢].

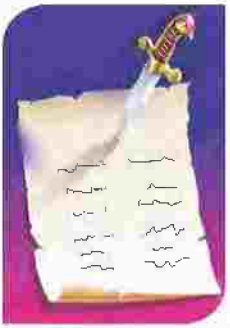

ومن جهة أخرى ألا يكون فيه (تأليب) على القتل أو الاعتداء بلا وجه حق، فالكلمة قد تكون أداة قتل، فهذا سُديف أنشد شعرًا في تحريض الخليفة السّفاح على بني أمية -وكانوا يجلسون مجلس التكريم والحفاوة- فما أنهى قصيدته تلك، حتى أمر بقتلهم، وكتب إلى عماله بذلك[٣].

اتخاذ موقف:

يتخذ الكاتب (موقفًا) تجاه القضايا التي يتناولها، فلا يمكن أن يكون في الماء والنّار معًا، وفي الصّيف والشتاء معًا، ومع الظالم والمظلوم في وقت واحد، ومبدأ عدم الانحياز -إن صح في السّياسة- فلا يمكن تطبيقه أبدًا في الكتابة؛ لأن الاكتفاء بالحياد المجرد يُنتج كتابةً باردةً لا لون لها، ولا طعم، ولا رائحة[٤].

(١) أخرجه مسلم (٣/١٢٥٥ رقم ١٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٣/٣٠).
(٣) المثل السائر (٣/١٠٦).
(٤) انظر: الكتابة عمل انقلابي (ص١٦)، ما هو الشعر (ص٥١، ص١٩٤).

هذا الموقف ليس مدفوعًا من غيره، بحيث يتنكب عن الحق، طلبًا لرضاه، وإنما هو موقف ينبع عن نفسه ومن الحق الذي يراه.

الكتابة لـ (لرّسالة) التي يقدمها الكاتب لقرائه

أما الكتابة التي لا قيد عليها، الكتابة للكتابة، فهي مجرد كذبة وادعاء لا وجود لها... الكتابة وعاءٌ لتحقيق رسالة الكاتب والتزامه بالقضايا التي يتبناها.

يظن شداة الأدب أن الحرية التّامة، التي لا قيد عليها ولا حجر، منفعة للكاتب في انطلاقته في الكتابة، وتناوله للموضوعات... وهذا طرح نظري لا واقعي؛ فالفكرة -أي فكرة- لها اتصال بعقيدة الكاتب، فينطلق من عقائد وأصول يستند إليها في الحياة، سواء أكانت شرقية أم غربية، دينية أم قومية؛ ولذا تجده يتصرف في الأفكار وفق هذه المبادئ ونوازعها التي قد لا تظهر على السَّطح، مع أنه مدفوع بها وإليها.

حينما يعالج الكاتب أمرًا فإن الموقف يحضر عند كل كاتب -وإن ادعى نفيه- بوعي أو دون وعي، فقد يأتي عن طريق الاستفهام، أو الشكوك، وحتى النفي، ويتم التعبير عنها على أفواه الشّخصيات الرّوائية، التي تكشف عن موقفه الفكري.

إن اتخاذ الموقف ينطوي على درجة من (الحرية) أعلى من الاستقلال الكاذب؛ لأن الحرية التّامة المطلقة، النافية للوقف، لا وجود لها في المجتمع[١]؛ كما يقول أحد الكُتّاب: «لا توجد لغة مكتوبة دون ملصق يعلن عن هويتها»[٢].

---

(١) كيف حملت القلم (ص٥٣، ص٦٥).

(٢) الدرجة الصِّفر للكتابة لرُولان بَارت (ص٣٢).

لكن ما يؤثر في الموقف (المباشرة) في الكتابة الأدبيّة، أو (الإسقاط) الفكري،

والركـون إلى الصيـغ الجاهزة، والحـوارات المقحمة، وهذا يجعـل المعالجة مكشوفـة، باردة لا حيـاة فيها... بينمـا إذا عالج أمـرًا، ثـم طبعه بطابعـه الخاص، ولونـه بمبادئـه الخاصّة، كان هـذا أقـوى في الأسلوب، وهـذا إذا كانت الكتابة أدبيـة أو ثقافية، لكـن الكتابات الشرعيـة أو العلمية شأنهـا التصريح لا التعريض، والمباشـرة لا التلميح، فهي ظاهرة في أفكارهـا وألفاظها ورؤيتها. قـال نجيب محفـوظ: «عندما أكتـب أكتب فحسـب، ولكن يحدث أننـي ألتزم بنظرة وموقف بطريقـة النمو الطبيعي، فينعكس ذلك بطريقـة تلقائية فيما أكتـب، فالالتزام شيء نابـع من النفس، ولا خير في التزام لا يجيء عن هذا السبيل»[1].

يلجـأ بعض الكُتّاب إلى (إخفـاء) الموقف الشّخصي، وقـد كان هذا دأبَ كثير من الكتّاب، فهذا الجاحظ كان يفعل ذلك أحيانًا من خلال عمل (الشيء ونقيضه). قال ابن قتيبة: «يبلغ به الاقتدار إلى أن يعمل الشيء ونقيضه، ويحتج لفضل السُّودان على البيضان، وتجده يحتج مرة للعثمانيّة على الرّافضة، ومرة للزيديّة على العثمانيّة وأهل السُّنة»[2].

---

(١) أتحدث إليكم (ص٢٠٧). وانظر: (ص٣٢)، هواجس في التجربة الروائية (ص١٤٢، ص١٦٠).

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص٥٩).

وكان ابـن الجوزي -كما قال ابـن رجب-: «إذا رأى تصنيفًـا، وأعجبه صنف مثلـه في الحال، وإن لم يكن قد تقدم له في ذلك الفن عمل؛ لقوة فهمه، وحِدَّة ذهنه، فربما صنف لأجل ذلك الشَّيء ونقيضه، بحسب ما يتفق له من الوقوف على تصانيف من تقدمه»[١].

وهذا مسلك بعض الكُتَّاب، فإنهم ينصبون الآراء وما يعارضها بالمستوى نفسه، وقد أضحت نظريةً في النقد الأدبي الغربي[٢].

وقـد يكون سبـب عمل الشيء ونقيضـه أنه أوثق وسيلة لـ(إخفاء) الموقـف الشخصي إن كان موجودًا، و(التشكيـك) في شرعيـة كل موقف، وبهـذه الطّريقة في العرض تصبح المعتقدات كلها لهـا نفس الحقوق، وكل شيء يصير قضية استدلال وإقناع، وأشد الأفكار عبثية وأقلها قبولًا يمكن قبولها إذا كان الدفاع عنها جيدًا، أو يمكن تفهمها، ولا تغدو شاذةً أو منفّرة إلا بسبب العادة[٣].

فعـن طريق إثارة الأضداد يتم القضاء على ماهيـة الأشياء وأصولها المتعارف عليها بين النَّاس، وإقامة مفاهيم جديدة، فإذا أراد القضاء على قيمة الأخلاق مثلًا، عمل على خلخلتها وتقويضها من خلال حكايات متضادة ومتناقضة، دون أن يصرح برأي أو يختار قولًا.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/٤١٥).

(٢) انظر: رحلتي الفكرية (ص٢٦٣).

(٣) انظر: لسان آدم (ص١١٠).

الملاحظة:

دقة الملاحظة أولى صفات الكاتب، بحيث تكون لديه عدسة بالغة الدقة، تلم من نظرة واحدة أو من مراقبة طويلة بأشياء غير مألوفة، يستطيع استثمارها وتحويلها أدبًا، يشكل معطى جديدًا، لا مجرد انعكاس ضوئي لا ينقل إلا الحدث والصورة فقط.

كي يلاحظ بدقة يحتاج إلى ما يلاحظه، الملاحظة غالبًا لا تأتي عفو الخاطر، وإنما في النظر وسداد الرّأي في جميع أوعية الثقافة، وفي حياة النّاس؛ فالملاحظات الصغيرة الدقيقة هي التي تمد الكاتب بخيوط نسيجه[١].

الجهد:

الكاتب الجيد هو الذي يبذل جهده إلى أقصى مدى، وعبر مسارات الكتابة كلها، فحين يصيبها الوهن في بعض خيوطها، فإن الكتابة كلها تتأثر، وقد يكون (المسمار) الذي يدق العمل الكتابي كله.

إن ما يكتب دون جهد يُقرَأ عادة دون (استمتاع)[٢].

---

(١) انظر: كيف حملت القلم (ص٧٦)، هواجس (ص٢٠)، حياة قلم (ص١٧٢).

(٢) انظر: مقتطفات في الكتب والقراءة والمكتبات (ص١٥٤)، عالم المكتبات (ص٢٢٦).

وذلك أن الكتابة التي لم تنل من صاحبها جهدًا وبذلًا ومعاناة، حرية ألا تقع من القارئ موقعها المراد.

وقضية (الإلهام) أو (الإيحاء) الذي يدعيه بعض الكتبة لا يشكل بحال إلا نزرًا يسيرًا، والباقي عمل وجهد، فالنص لا يتطور من تلقاء نفسه، وإنما بجهد صاحبه.

الكتابات العظيمة استغرقت من كتّابها جهدًا ووقتًا، عبر انقطاع تام في إنجازها، وسنوات عديدة في إتمامها، ولم تكن ظروفهم الحياتية ميسرة[١].

لقد «كانت همم القدماء من العلماء عليَّةً، تدل عليها تصانيفهم التي هي زبدة أعمارهم»[٢]؛ فالقاسم بن سلام مكث في تصنيف كتابه «غريب الحديث» أربعين سنة[٣]، وتكلف الكاتب حاجي خليفة جهدًا مضاعفًا، ووقتًا كثيرًا، وأنفق ما ورثه من مال وفير في إتمام كتابه العظيم (كشف الظنون)، وهذا الشيخ ابن بليهد أمضى زمنًا طويلًا في البحث عن سوق عكاظ وتحقيق موضعه عبر البحث في الكتب وتتبع المواضع واستنطاق الرّجال[٤].

وإن ما يعرف الكاتب أنه بذل غاية الجهد هو شعوره وإحساسه بعد الانتهاء من العمل بأنه كـ(الخرقة) المبتلة، التي قد عصرت عصرًا، فلم يبقَ فيها أثر من ماء[٥].

---

(١) ذكر الدكتور محمد الشّيخ في كتاب الحكمة العربية (ص٤٢١) قصص تبين ظروف الكُتّاب القاسية وهم يكتبون.

(٢) صيد الخاطر (ص٧٠٦).

(٣) إنباه الرواة (١٦/٣).

(٤) انظر: صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار (٢١٧/٢).

(٥) انظر: أنشودة للبساطة (ص١٣).

المثابـرة تستمـر مع الكاتـب في كل ما يكتـب، وكأنه لم يكتب شيئًـا من قبل... أحيانًـا تدعو سهولـة الكتابة للكاتب إلى ترك التّجويد، وقـد أصاب هذا الداء بعض كبار الكُتّاب؛ كما وقع ذلك للمازني[١].

قـد يوجد الجهد، ولكن لا (يستثمـر)، أو لا يوجَّه (توجيهًا) صحيحًا، أو يكون في موضـوع لا يستحق هذا الجهد المبذول... وهذا يرجـع أحيانًا إلى اختيار البذرة، أو الأرض الصّالحة، أو طريقة الحرث؛ فـإن الكتاب (الرّديء) قد ينال من الجهد كالـذي يتطلبه الكتاب الجيد، فهو ينبع من نفس واحدة.

تحتـاج الكتابة إلـى (رويّـة)، ونار هادئـة تعمل علـى إنضاجها، فالسُّرعة في كثير من الأحيان تفسدها، فتخرج قبل أوانها.

قال دون كيخوته: «هناك أناس يصنعون لك الكتب ويخرجونها للدُّنيا، بالسُّرعة نفسها التي يصنعون بها طبقًا من الفطائر»[٢].

ولا بـد مـن إدارة الوقت بكفاية عالية، لا يبـدِّده في أشياء لا تعود على الكتابة بفائدة.

هـذا الجهد والكدّ الذي يتطلبه العمل الكتابـي لا ينبغي بحال أن يظهر أثره للقرّاء، وإنما يجيء تلقائيًّا وأن ولادته جاءت سهلة ميسورة[٣].

---

(١) انظر: حياة قلم (ص١٨١).

(٢) انظر: مقتطفات في الكتب والقراءة والمكتبات (١/١٠٤).

(٣) انظر: أنشودة للبساطة (ص١٣).

استثمار الضَّعف:

قوة الإنسان في ضعفه إذا استثمره، فقد يستطيع الكاتب الاستفادة من جوانب الضعف التي فيه، وتسييرها لحال قوة.

فـ (ضعف الذّاكرة) قصور، ولكن الكاتب المتفلوطي استفاد منه، وجعله ضربًا من القوة، فقال: ما استطعت أن أكتب لهم تلك الرسائل التي يعلمونها بهذا الأسلوب، وما نفعني في ذلك شيء ما نفعني ضعف ذاكرتي والتواؤها عليّ[1].

ولا يستثمر الكاتب قوته قبل ضعفه، إلا بعد أن يتعرف إلى نفسه وطبيعته والخصائص المميزة لها.

كثيرون لا يعرفون أنفسهم، ولا يلتفتون إلى ميزاتهم، ومواطن ضعفهم، ولذا يكررون عثراتهم كل مرة، ولا هم يتذكرون.

الغرور:

العجب هو إسراف الرّجل في السُّرور بما يكون فيه والإفراط في استحسانه، حتى يظهر ذلك في لفظه وفي شمائله[2]، وهو آفة تصيب الكُتَّاب، وتؤثّر في إنتاجهم

(١) النظرات (١/٣٩). وانظر: في الثناء على ما يبقى (ص٤٩).

(٢) البيان والتبيين (١/٩٩).

إذا تمادى بهم، فهي **كالرّطوبة الشّديدة التي تنفع نباتات المستنقعات، بينما الأشجار الباسقة لا تتطلب إلا قدرًا يسيرًا منها**، والكاتب كذلك يكفيه قدرٌ من الاعتداد بالنفس الذي يوقد العزم للكتابة، دون الاغترار بالنفس والزّهو بها، الذي يجر إلى استسهال الكتابة والعُجب بما يكتب. **قال الجاحظ:** «تجد فتنة الرَّجل بشعره، وفتنته بكلامه وكتبه، فوق فتنته بجميع نعمته»[١].

السَّلف أبعد ما يكونون من العجب والغرور، «كانوا يكرهون السَّلاطة والهذَر، والتكلُّف، والإسهاب والإكثار؛ لما في ذلك من التزيُّد والمباهاة، واتباع الهوى، والمنافسة في الغلوّ»[٢].

قال أبو عمرو بن العلاء: «إنما نحن فيمن مضى كبَقْلٍ في أصول نخل طوال»[٣].

ومن الغرور أن يحاول أن يكون في موقع من يصعب تناوله وتصنيفه، ويجعل من نفسه كائنًا غريبَ الأطوار في كتابته وتصرفاته[٤].

ينبغي التجافي عن النرجسية المفرطة فيما يكون نابعًا عن ذاته، فيُحكى بطريقة لا تشي بالتمجيد الشخصي ولا بالتعظيم الذاتي، بل يُذكَر كنسمة هواء لا ثقل فيها، ورسمة لا تكشف الصُّورة الكاملة، وإنما تعطي ظلًّا موحيًا، وقد عاب كبار الكُتَّاب الدكتور زكي مبارك، حينما جعل من نفسه محورًا لكثير من كتاباته، فقالوا: أكثر أدب زكي مبارك عن زكي مبارك.

---

(١) الحيوان (١/٨٨).

(٢) البيان والتبيين (١/٩٩).

(٣) البلغة في تاريخ أئمة اللغة (ص٧٩).

(٤) انظر: الكاتب والآخر لكارلوس ليسكانو (ص١٦٢).

التركيز:

(التركيـز) في العمل الكتابي وعدم التشتت، فحين يحشر الكاتب كل ما يعرفه مـن معارف وآراء... وكأنها آخر سهم من كنانتـه، فإن القارئ لا يمسك منها شيئًا، وإن أمسك فهي مشوهة مشوشة، مع إملال القارئ وإضجاره وإفساد متعته بالكتاب.

قال جوته: «هناك كتب يعلم المرء منها كل شيء، ومع ذلك فهو لا يفهم في نهاية الأمر عن الموضوع شيئًا»(١).

وحـين يعتاد الكتابة، فإن تجربته تصقل ومعالجتـه تقوى، فتكون كتابته في كل مـرة أقـوى من سابقتهـا، إلا أن أمرًا لا بد أن يتردد في ذهنـه، وقد يكون هواجس أو حقائق، وهو الخوف أن يكرر نفسه، وأن يعود إلى الأشياء نفسها التي عالجها، فيعود يغـزل خيوطه من جديد، ولذا فالسؤال المهم: كيـف يخرج الكاتب من (التكرار) في كتابته؟... هل في نمط التفكير، أو إدامة القراءة، أو في الإكثار من الكتابة المهملة؟(٢).

قال أحد الكتَّاب: «اكتب كل شيء كما لو كان أول شيء تكتبه في حياتك، فاليوم الذي تعتقد فيه أنك تعرف كيف تفعل ذلك، هو اليوم الذي تنتهي فيه حياتك كاتبًا»(٣).

---

(١) مقتطفات في الكتب والقراءة والمكتبات (ص٢٥٣).

(٢) انظر: الكاتب والآخر (ص٢).

(٣) كيف تكتب؟ (ص٥٠).